إنبَاءُ الأغمَار

بِطُرُقِ تَحْصِيلِ البَرَكَةِ فِي الأعمَارِ

تأليف
أبي يحيى
محمد بن عبده

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع محفوظة ، لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه
بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي
أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه .
ولا يسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى
دون الحصول على إذن خطي مسبق من المؤلف .

الطبعة الثانية
١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
رقم الإيداع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ (النساء:١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ

وَرَسُولَـهُ فَقَـدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ (الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١) .

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

أما بعد ..

فإن مطلب كلِ بصيرمن العقلاء أن يُبَارك له في وقته وعمره كما بورك لغيره فيعمل الأعمال التي بها يكسب الأجورالكثيرة العظيمة .

فقد يُحَصِّل الإنسان بالبركة في عمره ما يتخيَّل الناظر إليه أنه عاش دهراً طويلاً كما عبَّر بعض الشعراء عن ذلك داعياً إلى اغتنام العمر فقال :

دَقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ لَهُ ..... إنّ الحياةَ دقائقُ وثَوانِ

فارفع لنفسِكَ قبل موتكَ ذِكْرَها .... فالذكرُ للإنسان عمرٌ ثانٍ

وَفِي وَصِيَّةِ الْإِمَامِ الْمُوَفِّقِ ابْنِ قُدَامَةَ طَيَّبَ الله رُوحَهُ مَا لَفْظُهُ:

فَاغْتَنِمْ رَحِمَك الله حَيَاتَك النَّفِيسَةَ، وَاحْتَفِظْ بِأَوْقَاتِك الْعَزِيزَةِ، وَاعْلَمْ

أَنَّ مُدَّةَ حَيَاتِك مَحْدُودَةٌ، وَأَنْفَاسَك مَعْدُودَةٌ، فَكُلُّ نَفَسٍ يَنْقُصُ بِهِ جُزْءٌ مِنْك، وَالْعُمْرُ كُلُّهُ قَصِيرٌ، وَالْبَاقِي مِنْهُ هُوَ الْيَسِيرُ، وَكُلُّ جُزْءٍ مِنْهُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ لَا عَدْلَ لَهَا .(١)

وما من مخلوق إلا وهو حريص على طول الحياة – غالباً–

وكم من أُناس يعيشون لا تحسّ بهم ، كأنهم أجساد لا حراك فيها جامدة، كأن حياتهم لا وجود لها ، وأقوام مَرَّ على موتهم مئات السنين يُذكَرون بالخير .

بل يذكرهم أقوام أكثر مما يذكرون آباءهم وأمهاتهم ، وليس بينهم وبين الذاكرين لهم نسباً، وقد ماتوا من مئات السنين ، أليس كذلك ؟!

وصدق من قال :

مَا الْفَخرُ إِلاَ لأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَىَ الْهُدَىَ لِمَنِ اسْتَهْدَىَ أَدِلاَءُ

---

(١) حكاها عنه أبو العون السفاريني الحنبلي في كتابه «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب»(٢/ ٤٤٨) .

وَقَدْرُ كُلّ امْرِءٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَداً ... النَّاسُ مَوْتَىٰ وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

ولما كانت أعمار هذه الأمة قصيرة إذ أعمارهم ما بين الستين والسبعين (١)

كما أخرج الترمذي بسندٍ حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**»(٢).

فإذا لم يغتنم المرء الفُرصةَ ويعمل على تحصيل البركة في العمر سيضيع عمره سُدَىٰ لا بركة فيه، ولا يَستفيد منه ، وقد يُقدم على ربه مفلساً، وهناك لا عمل، ويفرُّ المرءُ من أخيه،وأمِّه وأبيه،وصاحبته

---

(١) والظاهر أن أعمار مَن قبلنا كانت طويلة كما يفهم مما ورد عن عُمر آدم ونوح عليهما السلام ، وقد ورد ذكر مقدار ما عاش بعضهم في الكتب السابقة ، أنها أعمار طويلة .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٥٠).

وبنيه، يفر منه لئلا يسأله حسنة يُثَقِّل بها ميزان السيئات،أو يسأله أن يحمل عنه سيئة يخفف عنه ميزان السيئات ، وما هو بفاعل .

❁ وهل قال رسول الله ﷺ :«**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»[١] إلا للتنبيه على استثمار العمر لتحصيل البركة فيه؟

❁ وهل قال ﷺ:« **لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ**». [٢]

إلا للتنبيه على استثمار العمر لتحصيل البركة منه ؟

❁ وهل قال رسول الله ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ:« **اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ،**

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه . وهو حديث حسن لشواهده خرَّجته في كتابي «الفوائد النيرة » برقم (٤٩٦) وما بعدها .

وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »[١] إلا لتحصيل المنافع المباركة من العمر .

❁ وهَل قَال ﷺ لما سَألَه الأعرَابي عَن خَيرِ النَّاسِ ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :«**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»[٢].

❁وقد قال ﷺ:«**خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا، وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا** »[٣] .

هل قال هذا إلا لتحصيلِ المنافعِ في العُمر لحُصُول البَرَكَة؟

لا سيما وأن في آخر الزمان تنزع البركة من الزمن والأعمار :

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل»(١١١) من حديث ابن عباس رضي الله عنه بسندٍ حسن .

(٢) فيما أخرجه الترمذي (٢٣٢٩) وغيره عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه بسند صحيح .

(٣) أخرجه أحمد (٧٢١٢) بسندٍ صحيح .

فأخرج البخاري ومسلم [١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ**..الحديث .

فأيام السُّرُورِ والعافية قصِيرة ، كما يرىٰ ذلك كل بصير .

ومعنى يتقارب الزمان : تقل بركته وتذهب فائدته. وقيل غير ذلك

ومما قيل عن معناها : تَذْهَبُ الْبَرَكَةُ فَيَذْهَبُ الْيَوْمُ وَاللَّيْلَةُ بِسُرْعَةٍ[٢].

قال السيوطي [٣]: وقيل: يَقَعُ كناية عن قصر الأعمار وقلّة البركة فإذا أخبر ﷺ بقلّة البركة في العمر في آخر الزمان ، كان هذا موجباً لضرورة اغتنام أوقات العُمر، والعمل على ما يحصل للعبد فيه عظيم البركة .

---

(١) أخرجه البخاري(١٠٣٦) ومسلم (١٥٧).

(٢) كما في «فتح الباري» للحافظ ابن حجر (٢/ ٥٥٢).

(٣) كما في «قوت المغتذي على جامع الترمذي»(٢/ ٥٦٥).

ولذا قال بعض السلف ، وهو خَالِد بْنِ مَعْدَانَ رحمه الله : «إِذَا فُتِحَ لِأَحَدِكُمْ بَابُ الْخَيْرِ فَلْيُسْرِعْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ»[١]

فهنيئاً لمن اغتنم تحصيل البركة في الأيام الخالية هذه ، وبَادَر قبل حصُول القواطع ، أو الانشغال بالعوائق ، وإلا فالندم .وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ، ولا فرار ولا مهرب.

فمن الأهميةِ بمكان أن يعلم المرءُ طرقَ تحصيل البركة في العمر، فالربح كلُّ الربح لمن عَمِل على ذلك ، فعلي مقدار جَهده- في الجملة - تتوقَّف سعادته في الدُّنيا والآخرة.

وفي صحيح مسلم [٢]عَنْ جُوَيْرِيَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا** ؟ » قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ**

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» ص ٣١١ وغيره بسندٍ صحيح عن خالد بن معدان الكلاعي رحمه الله به .

(٢) برقم (٢٧٢٦).

مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ ».

أشار ﷺ إلى شيء يجعل لها به بركة في الذكر.

أشار إلى ما يعظم به أجر عملها ويبارك فيه.

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من السبَّاقين إلى هذا الخير العظيم الذي تعظُم به البركة في أعمارنا، الداعين إليه ، النافعين به حيثُ حللنا وحيث ارتحلنا ، وأن يجعل أعمالنا خالصة صواباً ، ولا يجعل لأحدٍ فيها شيئاً .

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

كتبه

أبو يحيي محمد بن عبده

بلطيم – كفر الشيخ – مصر

أعمال يحصل بها البركة في العمر

هناك أعمال يحصل بها البركة في العمر ، فعلى كل حريص على الخير أن يغتنمها .

١ـ صلة الأرحام :

وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم [١] عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ[٢] أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ[٣]، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ[٤]، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**».

٢ـ الإحسان إلى الجيران:

أخرج أحمد بإسناد صحيح عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ

---

(١) البخاري (٢٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧).

(٢) سَرَّه: أي أحبَّ ذلك ورغب فيه.

(٣) يبسط له في رزقه: بسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل البركة فيه، (يبسط) يوسع ويبارك.

(٤) ينسأ له في أثره : يُمد له في عمره ويؤخر أجله ويخلد ذكره.

لَهَا: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ،

وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».[١]

٣ ـ اغتنام الأوقات المباركة للعمل .

أولًا: وقت البكور :

فقد دعا رسول الله ﷺ لهذه الأمة في ذلك الوقت فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا»[٢].

فالأعمال والمذاكرة وغير ذلك من مصالح الدنيا والآخرة في هذا الوقت مباركة مُجرَّبة مَلحوظة ، والعجيب أني جرَّبت جُلَّ الأعمال في هذا الوقت فألفيتها كلها مباركة إلا شيئاً واحداً غير مبارك في

---

(١) في «المسند »(٢٥٢٥٩)

(٢) أخرجه ابن ماجة (٢٢٣٨) .وهو مرويٌ عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم يجزم معها أنه حديث حسن لشواهده على أقل الأحوال ، والله أعلم .

هذا الوقت ، وهو النوم !

والغريب أن جُلَّ الناس أهملوا استثمار هذا الوقت ، واغتنام دعوة رسول الله ﷺ لأمته فيه :«**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**» حتىٰ فَرَّط فيها طلاب العلم وخوَاصهم ، بل وكثير من المشايخ الذين ربما ظاهرهُم التَّسَنُّن، إلا من رحم الله تعالىٰ، وقليل ما هم[١] ولذلك كان السلف يُحَذِّرون زَوِيِهم من التصبُّح ، أو النوم في ذلك الوقت لما علموا من عظم البركة فيه،فكانوا يغتنمون الوقت في الذكر والدعاء.

---

(١) **والعجيب أنك قد تجد** العامل والمزارع وأصحاب الصناعات يذهبون إلىٰ أعمالهم في هذا الوقت المبارك ، بينما تجد طالب العلم الشرعي ، الذي من المفترَض أنه أعلم الناس ، بحديث رسول الله وآثار الصحابة ﭫ وآثار السلف نائماً في ذلك الوقت ! وكم من انتكاسات في صفوف طلاب العلم، قد يحمي منها استثمار ذلك الوقت كما استثمره السلف كما سترىٰ، مع أن الكثير منهم يعتقدون صحَّة الوارد عَنْ أَنَسٍ ﭬ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«**مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ، تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ**».الذي أحسن طرقه ما رواه الترمذي (٥٨٦) وفي سنده أبو ظلال وأحسن أحواله أن يكون ضعيفاً يعتبر به والموفَّق من وفَّقه الله، أقامنا الله علىٰ الطريقة القويمة الرشيدة الحميدة.

وهذه أحوالهم وأحوال نبيهم في ذلك :

فالنبي ﷺ :«كَانَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنًا»(١).

وأخرج مسلم عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ كَثِيرًا، «كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ، أَوِ الْغَدَاةَ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ...(٢)

فورث الصحابة رضي الله عنهم ذلك:

ففي صحيح مسلم عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٦٧٠)وبوب له النووي بِبَاب فَضْلِ الْجُلُوسِ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ.

(٢)صحيح أخرجه مسلم (٢٣٢٢).

قَالَتْ: نَعَمْ....الحديث[١].

وأخرج مسلم[٢] عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: غَدَوْنَا عَلَىٰ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ يَوْمًا بَعْدَ مَا صَلَّيْنَا الْغَدَاةَ، فَسَلَّمْنَا بِالْبَابِ، فَأَذِنَ لَنَا، قَالَ: فَمَكَثْنَا بِالْبَابِ هُنَيَّةً، قَالَ: فَخَرَجَتِ الْجَارِيَةُ، فَقَالَتْ: أَلَا تَدْخُلُونَ، فَدَخَلْنَا، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ يُسَبِّحُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا وَقَدْ أُذِنَ لَكُمْ؟ فَقُلْنَا: لَا، إِلَّا أَنَّا ظَنَنَّا أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْبَيْتِ نَائِمٌ، قَالَ: ظَنَنْتُمْ بِآلِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ غَفْلَةً، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ ظَنَّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ، فَقَالَ: يَا جَارِيَةُ انْظُرِي هَلْ طَلَعَتْ؟ قَالَ: فَنَظَرَتْ فَإِذَا هِيَ لَمْ تَطْلُعْ، فَأَقْبَلَ يُسَبِّحُ حَتَّىٰ إِذَا ظَنَّ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ، قَالَ: يَا جَارِيَةُ انْظُرِي هَلْ طَلَعَتْ؟ فَنَظَرَتْ، فَإِذَا هِيَ قَدْ طَلَعَتْ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَقَالَنَا يَوْمَنَا هَذَا [٣]وَلَمْ يُهْلِكْنَا بِذُنُوبِنَا...الأثر .

---

(١) صحيح أخرجه مسلم (٢٧٢٦)

(٢) صحيح أخرجه مسلم (٨٢٢).

(٣)الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا : أي أحيانا يومنا هذا. وهو خوفٌ منهاللذي رأى من تبدُّل الأحوال.

وأخرج ابن أبي شيبة وغيره بإسنادٍ صحيح عن جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ الْبَجَلِيِّ ثُمَّ الْقُشَيْرِيِّ، قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَىٰ حُذَيْفَةَ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، فَرَجَعْتُ، فَإِذَا رسوله قَدْ لَحِقَنِي، فَقَالَ: «مَا رَدَّكَ؟» قُلْتُ: ظَنَنْتُ أَنَّكَ نَائِمٌ؟، قَالَ: «مَا كُنْتُ لِأَنَامَ حَتَّىٰ أَنْظُرَ مِنْ أَيْنَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ».

قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ مُحَمَّدًا[1]، فَقَالَ: قَدْ فَعَلَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ. [2]

وأخرج ابن أبي شيبة وغيره [3] بسندٍ صحيح عَنْ خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ وَكَانَ بَدْرِيًّا ﷺ قَالَ: «نَوْمٌ أَوَّلِ النَّهَارِ خُرْقٌ، وَأَوْسَطُهُ خُلُقٌ، وَآخِرُهُ حُمْقٌ». [4]

---

(١) يظهر لي والله أعلم أن ابن عون أراد محمد بن سيرين.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٠٩، ٧/ ١٤٠) وفي «الأدب» (١٥٧) وابن شبة في «تاريخ المدينة المنورة »(٣/ ١٠٨١) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٩) والبخاري في «الأدب المفرد»(١٢٤٢)

(٤) فأما نوم خرق: فنومة الضحى، يقضي الناس حوائجهم وهو نائم.

بل كانوا يحملون مَن يليهم على ذلك ويزجرونهم إذا ما ناموا في ذلك الوقت

فقَالَ الزُّبَيْرُ بن العوام رضي الله عنه : «إِنِّي لَأَزْهَدُ فِي الرَّجُلِ يَتَصَبَّحُ» (١) .

والتصبُّح : أي النوم في الصباح .

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ الزُّبَيْرُ يَنْهَى بَنِيهِ عَنِ التَّصَبُّحِ (٢)

.....

وأما نوم خلق : فنومة القائلة نصف النهار. فقوله فأوسط النهار خُلُقٌ: أي خلق نبوي به أخذ الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ففي صحيح البخاري (٢٣٤٩) ومسلم(٨٥٩) عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «مَا كُنَّا نَقِيلُ وَلاَ نَتَغَدَّى إِلَّا بَعْدَ الجُمُعَةِ» ، وبعد صلاة الفجر ينبغي أن تستغله في حفظ القرآن ومراجعته، ومذاكرة بعض العلوم الشرعية كالحديث والفقه ونحو ذلك، لأن هذا الوقت مبارك ويكون الذهن فيه خالياً عما يكدره مما يواجه الشخص في يومه. وأما نوم حمق: فنومة حين تحضر الصلاة.ذكره العجلوني في «كشف الخفا »(٢/ ٢٣) .

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٢٢) بإسنادٍ صحيح .

(٢)أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٢٢) بسندٍ صحيح ..

وكذلك عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهَّ: « أَنَّهُ مَرَّ بِابْنٍ لَهُ تَصَبَّحَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ فَقَفَدَهُ[١]، وَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ» [٢].

وَقد وَرَّث الصحابة ﷺ ذلكَ لبعضِ التابعين :

فقال وَقَالَ عُرْوَةُ: «إِنِّي لَأَسْمَعُ بِالرَّجُلِ يَتَصَبَّحُ فَأَزْهَدُ فِيهِ»

وروىٰ خَالِدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهَّ، قَالَ:

«كَانَ سَالِمٌ[٣] لَا يَتَصَبَّحُ، وَكَانَ يَقِيلُ».

عَنْ خَالِدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عَبْدِ الله، مِثْلَهُ.

عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنْ مَكْحُولٍ، مِثْلَهُ.

فهذا وقت مبارك يبارك الله تعالىٰ في العمل فيه ، فإذا استغلَّه

---

(١) القَفْدُ: صَفْعُ الرَّأْس بِبَسْطِ الْكَفِّ مِنْ قِبَلِ القَفا. تَقُولُ: قَفَدَه قَفْداً صَفَعَ قَفَاهُ بِبَطْنِ الْكَفِّ.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٢٢) بسندٍ حسن .

(٣) يعني ابن عبد الله بن عمر ﷺ .

العبد بورك له ، فإنه يعمل في الوقت القليل العمل الكثير ، وهذا من طرق تحصيل البركة في العمر ، والله أعلم .

وقد قال ابن القيم[١]:

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلَّى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي . أو كلاماً قريباً من هذا »

ثانيًا: اغتنام الثلث الأخير :

في الدعاء والتفكير فكم من فُتوحات وسَداد وحُسن فُهوم تأتي في هذا الوقت، ومن جَرَّب عَرَفَ .

وكيف لا ورسول الله ﷺ يقول :« **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** »[٢].

---

(١) في «الوابل الصيب» ص٤٢

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم(٧٥٨).

فالله العزيز الغني هو الذي يُهَيِّج على سؤاله، وأنت نائم ؟!

فالدعاء في ذلك الوقت من أسباب حصول البركة وحلول الخيرات ، ومنها البركة في العمر وضُمَّ إلى ذلك

ثالثًا : اغتنام أوقات إجابة الدعاء: (١)

والتي منها :

❁ بعد عصر يوم الجمعة في الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

ففي صحيح البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «**فِيهِ سَاعَةٌ، لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**» وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. (٢)

وعن تحديد هذه الساعة:

قال عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ رضي الله عنه : «النَّهَارِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، وَالسَّاعَةُ

---

(١) ولاستثمارها عظيم الأثر في تحصيل البركة في العمر ، وهل تحل الخيرات إلا بالدعاء ؟

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢).

الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَا يُذْكَرُ آخِرَ سَاعَاتِ النَّهَارِ». (١)

وفي رواية قال عبد الله بن سلام لأبي هريرة قَدْ عَلِمْتُ أَيَّةَ سَاعَةٍ هِيَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي بِهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقُلْتُ: كَيْفَ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي»، وَتِلْكَ السَّاعَةُ لَا يُصَلَّى فِيهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ: أَلَمْ يَقُلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يُصَلِّيَ**»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هُوَ ذَاكَ. (٢)

وأخرج أبو داود عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«**يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ**

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥٥٧٩) بسندٍ صحيح .

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٦) بسندٍ صحيح .

عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَتَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»[١].

وأخرج ابن المنذر[٢] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ[٣] عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ اجْتَمَعُوا، فَتَذَاكَرُوا السَّاعَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَتَفَرَّقُوا وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ.

فهؤلاء :عبد الله بن سلام ، وأبو هريرة ، وجابر ، وغيرهم حدَّدوها أنها يوم الجمعة ، ومثلُ ذلك لا يُقال من قِبَلِ الرأي إلا أن عبد الله ابن سلام استنبطه ، فاستشكل أبو هريرة على استنباطه أن النبي ﷺ قال ::« **لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي**» .

وهذا الوقت ليس فيه صلاة ، فلو كان عند عبد الله بن سلام شيئاً مرفوعاً لاحتج به [١] ومع هذا سكتَ أبو هريرة ، فلو رآه أخطأ في

---

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٨) بسندٍ حسَّنه الحافظ في «الفتح»(٢/ ٤٢٠) و صححه النووي في «خلاصة الأحكام»(٢/ ٧٥٥).

(٢) في «الأوسط»(٤/ ١٣) .

(٣) كما قال الحافظ في «الفتح »(٢/ ٤٢١)، وهو كذلك.

استنباطه لبيَّن ذلك ولردَّ عليه ، ضُمَّ إليه أثر أبي سلمة بن عبد الرحمن السابق، وليس لهم من الصحابة مخالف .

❁ ومن ذلك وقت النداء بالأذان :

لقوله ﷺ : «**إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ**»(٢).

❁ وعند الانتهاء من الأذان

لقول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**قُلْ كَمَا يَقُولُونَ فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ**

.....

(١) وهذا مما يؤكِّد إعلال رواية مسلم (٨٥٣) في تحديد ساعة الاستجابة يوم الجمعة :« هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ »وقد أعلَّها الدارقطني في «التتبع»(٤٠)، وصَوَّب أنها من قول أبي بردة لا عن رسول الله ﷺ.

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة»(٧١) وأبو يعلى (٤٠٧٢) وسنده صحيح .

تُعْطَهْ»[١].

❁ وبين الدعاء والإقامة :

لقوله ﷺ: « إِنَّ الدُّعَاءَ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ فَادْعُوا»[٢].

❁ وعند السجود :

لقوله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[٣].

❁ وعند ختم القرآن:

لقول ثابت عن أَنَسٍ[٤] «أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَتَمَ الْقُرْآنَ جَمَعَ أَهْلَهُ فَدَعَا».

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٤) وغيره بسندٍ حسن .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣١) وبعض أصحاب السنن بإسنادٍ رجاله ثقات .

(٣) أخرجه مسلم (٤٧٩).

(٤) فيما أخرجه سعيد بن منصور في «تفسيره»(٢٧) بسندٍ يحسَّن .

❁ ومن ذلك الدعاء ليلة القدر:

لقول عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «لَوْ عَرَفْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَا سَأَلْتُ اللهَ فِيهَا إِلَّا الْعَافِيَةَ»(١).

❁ وكذلك الدعاء يوم عرفة ، يوم يباهي الله بالحجيج الملائكة

وقد ورد من عد طرق أرجو أن يحسَّن بها الحديث لشواهده أن النبي ﷺ قال :« **أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا، وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ** »(٢).

❁ وكذلك عند زيارة المريض وعند الميت :

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٢٤)بإسناد صحيح موقوفاً، وروي في الباب خبر مرفوع ولا يصح أعرضنا عنه .

(٢) أخرجه عبد الرزاق (٨١٢٥) والترمذي(٣٥٨٥ وما بعده) .

سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: «قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً» قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا ﷺ.(١)

❁ وكذلك الدعاء عند سماع صياح الديكة :

لقول النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللهَّ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهَّ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»(٢).

❁ وكذا إذا كنت صائماً، أو مظلوماً ، أو كنت إماماً عادلاً فدعاؤك مستجاب إن شاء الله:

لقول ﷺ :«ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ». (١)

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٠٣) ومسلم (٢٧٢٩).

.....

(١) صحيح أخرجه أحمد(٩٧٤٣) والترمذي (٣٥٩٨) وغيرهما من طريق أبي مجاهد عن أبي مدلَّة عن أبي هريرة مرفوعاً، وإسناده صحيح رجاله ثقات. وقد ضعفه الألباني ـ رحمه الله ـ في «الضعيفة»(١٣٥٨) بأبي مُدلَّة محتجاً بقول ابن المديني عنه:«مولى عائشة، لا يعرف اسمه، مجهول لم يرو عنه غير أبي مجاهد».

ولكن أقول «محمد»: وله أن يحتج بقول الذهبي أيضاً عنه في «الميزان» :

«لا يكاد يُعرف» .

لكن قد عرفه ابن حبان فقال في«صحيحه» (٨/ ٢١٦) رقم (٣٤٢٨) :

«أبو المدلة: اسمه عبيد الله ابن عبد الله، مدني ثقة » .

وكذلك وثقه ابن ماجة عقب حديث (١٧٥٢) ، كما وثق أبا مجاهد سعد الطائي الكوفي.

وعلَّق الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية » (٢٠/ ٢٧٩) ط دار هجر على أبي مجاهد فقال: «وقع توثيقه في رواية ابن ماجة، وهو من رجال البخاري» . اهـ

وقد حسَّن الألباني نفسه في «الصحيحة» (٥٩٦) لفظاً نحوه مختصراً بشواهده، فكان حقه أن ينقل هذا الحديث الذي ضعَّفه من «الضعيفة» إلى «الصحيحة» . ثم أقول:

فاغتنام أوقات إجابة الدعاء له أعظم الأثر في تحصيل البركة في العمر ، فالثبات الثبات على تحرِّىٰ أوقات الإجابة واغتنامها.

٤ـ اغتنام وقت الشباب بالذات:

وقت صحَّة البدن ، وقوة الجسم للعمل ، وما أَكَّدَ عليه ﷺ إلا لأهميته في العمر فقال ﷺ: « **لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ مِنْ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ خِصَالٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»

كذا في بعض طرق الحديث السالف [١].

.....

إن الذهبي الذي قال: «لا يكاد يُعرف» هو الذي ردَّ في «الميزان»في ترجمة مالك بن الخير الزيادي على ابن القطان في قوله عن مالك بن الخير الزيادي هذا:«لم تثبت عدالته» وتعقبه فقال: «يريد أنه ما نص أحد على أنه ثقة، وفي رواة الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحداً نص على توثيقهم ». اهـ

فإذا كان هذا كذلك، فهذا نص غير واحدٍ على أنه ثقة فماذا؟!

(١) في حديث ابن مسعود ومعاذ رضي الله عنهما .وقد خرَّجتها تحت شواهد حديث أبي برزة رضي الله عنه في «الفوائد النيرة»(٤٩٦).

واعتنى به ﷺ لما عدَّ السبعة الذين يُظلُّهم الله في ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه فقال :«.... **وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ...**»[١].

وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: « **اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ** »[٢] .

فأكَّد ﷺ على الشباب لأهميَّته .

فوَرَثَ السلفُ التَّنبيه في نصائحِهم على وقت الشباب :

قال أَبُو إِسْحَاقَ السبيعي : «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، اغْتَنِمُوا يَعْنِي شَبَابَكُمْ وَقُوَّتَكُمْ قَلَّ مَا مَرَّتْ بِي لَيْلَةٌ، إِلَّا وَأَنَا أَقْرَأُ فِيهَا أَلْفَ آيَةٍ، وَإِنِّي لَأَقْرَأُ الْبَقَرَةَ فِي الرَّكْعَةِ، وَإِنِّي لَأَصُومُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ[١]، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ». [٢]

---

(١) صحيح تقدَّم .

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل »(١١١) بسندٍ حسن .

وقال يُوسُفَ بْنَ أَسْبَاطٍ : بَادِرُوا يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ بِالصِّحَّةِ قَبْلَ الْمَرَضِ؛ فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ أَحْسُدُهُ إِلَّا رَجُلٌ أَرَاهُ يُتِمُّ رُكُوعَهُ وَسُجُودَهُ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَ ذَلِكَ (٣).

وقال عَنْ غُنَيْمِ بْنِ قَيْسٍ: كُنَّا نَتَوَاعَظُ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ بِأَرْبَعٍ، كُنَّا نَقُولُ: «اعْمَلْ فِي شَبَابِكَ لِكِبَرِكَ، وَاعْمَلْ فِي فَرَاغِكَ لِشُغْلِكَ، وَاعْمَلْ فِي صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَاعْمَلْ فِي حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»(٤).

كَانَ السَّرِيُّ يَقُولُ لمن حَوْلَهُ(١): «أَنَا لَكُمْ عِبْرَةٌ ، يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ،

.....

(١) بل الهدي النبوي أكمل من غيره وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما «مَا صَامَ النَّبِيُّ شَهْرًا كَامِلًا قَطُّ غَيْرَ رَمَضَانَ، وَيَصُومُ حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يَقُولَ القَائِلُ ﷺ: لاَ وَاللهِ لاَ يَصُومُ »

أخرجه البخاري (١٩٧١) ومسلم (١١٥٧) وهو مروي بنحوه عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) أخرجه ابن الجعد في «الجعديات»(٤٠٤) بسندٍ صحيح .

(٣) أخرجه الدينوري في «المجالسة»(٣٣١) بسندٍ جيد عن يوسف بن أسباط .

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»(٣) بسندٍ صحيح .

اعْمَلُوا فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشَّبِيبَةِ ».

وقد كَتَبَ رَجُلٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ إِلَى أَخٍ لَهُ شَابٍّ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي رَأَيْتُ أَكْثَرَ مَنْ يَمُوتُ الشَّبَابُ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ الشُّيُوخَ قَلِيلٌ»(٢).

٥ـ تجنُّب أسباب ضياع العمر :

لضياع العمر أسباب ، على المرء أن يتوقَّاها لئلا يضيع عمره سُدَىٰ:

أ ـ طول الأمل :

فإن طول الأمل يدعو إلى التسويف ومن ثَمَّ تأخير العمل وعليه يضيع العمر بلا فائدة ، فلا تَحصُل البركة في العمر .

وقِصَرُ الْأَمَلِ: فَهُوَ الْعِلْمُ بِقُرْبِ الرَّحِيلِ، وَسُرْعَةِ انْقِضَاءِ مُدَّةِ

.....

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية»(١٠/ ١٢٦) والبيهقي في «الزهد » (٤٩٢) واللفظ له بسندٍ صحيح.

(٢) حكاه الخطيب البغدادي في «اقتضاء العلم العمل»(١٩١) بسنده إلى مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ الْقُرَشِيُّ به .

الْحَيَاةِ، وَهُوَ مِنْ أَنْفَعِ الْأُمُورِ لِلْقَلْبِ، فَإِنَّهُ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاصَفَةِ الْأَيَّامِ، وَانْتِهَازِ الْفُرَصِ الَّتِي تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ، وَمُبَادَرَةِ طَيِّ صَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَيُثِيرُ سَاكِنَ عَزَمَاتِهِ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ، وَيَحُثُّهُ عَلَى قَضَاءِ جِهَازِ سَفَرِهِ، وَتَدَارُكِ الْفَارِطِ، وَيُزَهِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُرَغِّبُهُ فِي الْآخِرَةِ[1].

ولذا نبَّه ﷺ على خطورة طول الأمل، لما له من الأثر البالغ في تضييع العمر أو بركته.

ففي صحيح البخاري[2] عن أنس رضي الله عنه قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **يَكْبَرُ ابْنُ آدَمَ وَيَكْبَرُ مَعَهُ اثْنَانِ: حُبُّ المَالِ، وَطُولُ العُمُرِ** »

وفي رواية مسلم[3] عنه رضي الله عنه قال ﷺ: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ**».

وقال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « **لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ**»[1].

---

(١) من كلام ابن القيم في «المدارج»(١/ ٤٤٨).

(٢) أخرجه البخاري(٦٤٢١).

(٣) برقم (١٠٤٧).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسعود ﷺ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَطِ، وَقَالَ: «**هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ: قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**»(٢).

ولذلك ربَّى النبي ﷺ أصحابه على قِصَرِ الأمل لتوقِّي ذلك:

فإنه ﷺ لما مَرَّ على عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: مَرَّ بِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا أُطَيِّنُ حَائِطًا لِي أَنَا وَأُمِّي، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا عَبْدَ الله؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله شَيْءٌ أُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَسْرَعُ مِنْ ذَلِكَ**». (٣)

.....

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣٥) بسندٍ صحيح كما بيَّنته في كتابي «تدبير الأبنية والعمران في ضوء الشريعة الإسلامية».

وفي صحيح البخاري[١] عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

ب ــ التسويف :

والتَّسْوِيفُ شُعَاعُ الشَّيْطَانِ يُلْقِيهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَنِ اسْتَعْمَلَ التَّسْوِيفَ طَالَتْ حَسْرَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ إِيَّاكُمْ وَالتَّسْوِيفَ: سَوْفَ أَفْعَلُ، سَوْفَ أَفْعَلُ .

وفي صحيح مسلم[٢] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»

فعموم قوله:« لا يزال ...إلخ .أي يتأخرون ، في دخول الجنة .

---

(١) برقم (٦٤١٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٤٣٨) .

فيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ إِيَّاكُمْ وَالتَّسْوِيفَ: سَوْفَ أَفْعَلُ، سَوْفَ أَفْعَلُ، إياك مِن سَوفَ وحتىٰ وعسىٰ.

جـ ـ الغفلة عن محاسبة النفس واغتنام مواسم الأرباح :

ولا شك أن مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا، هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وقد قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ ﴾ الحشر.

وأخرجَ أحمدُ [1] بإسنادٍ حسنٍ لطرقهِ عنْ عمرَ بنِ الخطابِ - رضي الله عنه قالَ: «**حاسبُوا أنفسَكُمْ قَبلَ أنْ تُحاسَبُوا وزنُوا أنفسكُمْ قبلَ أن توزَنُوا**»

قال عزُّ الدينِ بْنُ عَبْدِ السَّلاَمِ في اختصاره ل «رعاية المحاسبي» [2] : «أجمع العلماءُ علىٰ وجوبِ محاسَبَةِ النفسِ فيما سَلَفَ من الأعمال وفيما يُسْتَقْبَلُ منها».

---

(١) في «الزهد» (ص ١٤٩) وتمام تخريجه في كتابي «الفوائد النيرة» (٥٦٥).

(٢) فيما حكاه الثعالبي في «تفسيره» (٥/ ٥٦٨)

فيَجِبُ علىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ البِدَارُ، إلىٰ مُحَاسَبَةِ نفسِه، وإنَّمَا حِسَابُهُ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَتُوبَ مِنْ كُلِّ مَعْصِيَةٍ قَبْلَ المَوْتِ تَوْبَةً نَصُوحاً، وَيَتَدَارَكَ مَا فَرَّطَ فِيهِ مِنْ تَقْصِيرٍ في فَرَائِضِ اللهَّ- عَزَّ وَجَلَّ- ويردَّ المظالمَ حَبَّةً حَبَّةً، ويستحلَّ كلَّ مَنْ تَعَرَّضَ له بلسانِه ويدِه، وسوء ظِنّه بقلبه، ويُطَيِّبَ قلوبَهم حتىٰ يموتَ، ولم يَبْقَ عليه فريضة ولا مظلمة، فالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بعد الموت، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وتمنىٰ عَلَىٰ الله .

د ـ الكسل عن ركب المعالي:

والكسل هُوَ عدم انبعاث النَّفس بِالْخَيرِ، وَقلة الرَّغْبَة فِيهِ مَعَ إِمْكَانه. **وقد حذَّر النبي ﷺ وخوَّف منه :**

فأخرج البخاري (١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «**التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ**» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي**

(١) برقم (٢٨٩٣) ومسلم (٢٧٠٦).

أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ».

فبئس الرفيق:الكسلُ عن الفضائل ، وحبُ الراحة يورثُ مِن النَّدم ما يربو على كل لذة، فانتبه وأتعِبْ نفسَك، واعلم أن أداء الفرائض واجتنابَ المحارم لازم، فمتى تعدّى الإنسانُ فالنار النار[١]

هـ - الإكثار من المباحات والعجز وضعف الاستعانة بالله تعالي:

ويكفي في ذلك تلك الوصية الجامعة المانعة الواردة على لسان رسولنا ﷺ ، والتي جُعلت قانوناً للحياة .

فأخرج مسلم[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ،

---

(١) من كلام ابن الجوزي في كتابه «لفتة الكبد إلى نصيحة الولد »ص ٢ .

(٢) برقم (٢٦٦٤).

فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[١].

ومن الانشغال بالمباحات : الانشغال بالكثرة من الطعام والشراب ، والتوسع في المزاح، وفضول النوم [٢].. ونحو ذلك مما لا يعين على الطاعات ،فهذه وإن كان لا ثواب ولا عقاب فيها لكنها تُفَوِّت الثواب الذي ضاع بالانشغال بها، فإن الوقت معهايضيع بلا منفعة ، وللعلماء كلام كثير في التنفير من التوسُّع في ذلك ، والله الموفق .

٦ ـ الاعتناء بالأعمال اليسرة ذوات الأجور الكثيرة :

فهناك أعمال يسيرة عظيمة الأجر ، فهنيئاً لمن اعتنى بها فإنه يكثر أجره جداً :

ـ فصلاة الجماعة تفضُل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة.

ـ ومن غدا إلى المسجد أو راح أعدَّ الله له نُزله من الجنة كلَّما غَدا

---

(١) ولنا في التعليق على هذا الحديث رواية ودراية كتاب مستقل .

(٢) لا سيما النوم بعد العصر وفي الصباح كما تقدَّم .

أو راح.

ـ ومن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدَّم من ذنبه.

ـ ومن صَلَّى العشاء في جماعةٍ فكأنَّما قامَ نِصْفَ اللَّيل، ومن صلىٰ الصبح في جماعة فكأنما صلىٰ الليل كلَّه .

ـ وما من عبد مسلم يُصَلِّي لله كلَّ يوم ثنتي عشرة ركعة تطوُّعاً إلا بنىٰ الله له بيتاً في الجنة .

ـ وقول الحمد لله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه بعد الرفع من الركوع، عظيمة المنزلة ، والحمد لله تملأ الميزان.

ـ وقراءة الكرسي دبر كل صلاة تدخل صاحبها الجنة.

ـ واتباع الجنازة والصلاة عليها بقيراطين مثل الجبلين العظيمين

ـ وتحسين الخلق يثقِّل الميزان ، ويبلغ بالعبد درجة الصائم القائم بالليل .

ـ وإصلاح ذات البين أفضل من درجة نوافل الصيام والصلاة والصدقة .

ـ وكذلك إزالة الأذي من طريق المسلمين ، والإحسان إلى البهائم .

ـ وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم مائة مرة بألف حسنة .

وخاتمة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا الله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، كفارة لما في المجلس من لغط.

ـ والبر بالأم يرقي صاحبه في الجنة ، والتسبيح ثلاثة وثلاثين ، والحمد لله ثلاثة وثلاثين ، والله أكبر ثلاثة وثلاثين دبر كل صلاة ، يعدل ما ينفقه أصحاب الدثور من الأجور.

ـ والذهاب إلى الجمعة مبكراً يعدل القربان العظيم لله تعالى ـ

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ

دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ المَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

- وذكر آخر:

قاله ﷺ لأبي أمامة رضي الله عنه :« **أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ الله مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ الله مِلْءَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، سُبْحَانَ الله مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ الله مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ: الْحَمْدُ لله مِثْلَ ذَلِكَ**» .أخرجه النسائي (٩٩٢١) بسندٍ حسن

ـ وقد قال ابن عمر رضي الله عنه :« **مَنْ قَالَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَإِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: الله أَكْبَرُ كَبِيرًا عَدَدَ الشَّفْعِ، وَالْوِتْرِ، وَكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ الطَّيِّبَاتِ الْمُبَارَكَاتِ، ثَلَاثًا، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله مِثْلُ ذَلِكَ، كُنَّ لَهُ فِي قَبْرِهِ نُورًا، وَعَلَى الْجِسْرِ نُورًا، وَعَلَى الصِّرَاطِ نُورًا حَتَّى يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ** ». أخرجه ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح، وله حكم الرفع .

٧ـ الاهتمام بمعالى الأمور وتكريس الجهود لها، وجعلها نُصب العين:

فمن الناس من يشغل نفسه بالتفاهات لا بمعالي الأمور وهذا مما تضيع فيه الأعمار سُدىً وقد ورد بإسناد ظاهره الصحة عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الله عَزَّ اسْمُهُ كَرِيمٌ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا**»(١)

(١)أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات »(٨٨)و«الشعب»(٧٦٤٧) والطبراني في «الأوسط»(٢٩٤٠)بسند متصل من طريق محمد بن ثور عن معمر عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعاً .

وخالفه عبد الرزاق في «المصنف»(٢٠١٥٠) فرواه عن معمر عن أبي حازم عن طلحة بن كريزعن رسول الله ﷺ مرسلاً .

وَكَذَلِكَ رَوَاهُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ كَرِيزٍ الْخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا. كما قال البيهقي.

وله شاهد أخرجه الطبراني في «المكارم»(١٢٠) عن حَفْص بْن عُمَرَ الرَّقِّيِّ، ثنا يُونُسُ ابْنُ عَبْدِ الله الْعَمِيرِيُّ، ثنا مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا». وليس في رواته مجروح،

وفي صحيح البخاري[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «... **إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ**». وقد رزق الصحابة همم كالخيال ، وحياتهم كانت مليئة بالمهام العظام حتىٰ تحار في شخصياتهم العقول.

وأكتفي هنا بذكر مثالين فقط لرجل وامرأة، وإلا فالأمثلة كثيرة تحتاج إلى مصنَّفٍ :

الأول: زيد بن ثابت

.....

وشيخ الطبراني وسط إن شاء الله ، ومبارك مدلس وقد عنعن، فأرجوا أن يتقوي هذا بالسند الذي رُجِّح في المرسل قبل ، وله شاهد عن الحسين بن علي أخرجه الطبراني في «الكبير»(٣/ ١٣١)رقم (٢٨٩٤) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٧٦) ولكن في سنده خالد بن إياس ضعيف .وتمام تخريجه في كتابي «لمع الأدلة »

(١) برقم (٢٧٩٠).

أخرج ابن أبي شيبة عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ يَأْتِينِي كُتُبٌ مِنَ النَّاسِ وَلَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَعَلَّمَ كِتَابَ السُّرْيَانِيَّةِ ؟» .

قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَ عَشْرَةَ [١].

وأخرج ابن أبي داود في «المصاحف»[٢] عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّهَا تَأْتِينِي كُتُبٌ لَا أُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَهَا كُلُّ أَحَدٍ، هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعَلَّمَ كِتَابَ الْعِبْرَانِيَّةِ؟ - أَوْ قَالَ: السُّرْيَانِيَّةَ؟ -» فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.[٣]

ففي الرواية الأولى أنه تعلَّم اللغة السريانية ، وفي الثانية أنها العبرانية وفي بعضها : «سبعة عشر يوماً» ، وفي بعضها : «فِي تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣٨) وأحمد (٢١٥٨٧)وغيرهما .بسندٍ صحيح

(٢) وتخريجه في تحقيقي للمصاحف (٢) وهو صحيح

(٣) وفي بعض الروايات : « فَتَعَلَّمْتُهَا فِي تِسْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا ».

قال الحافظ في «الفتح»[١]: بأَنَّ مِنْ لَازِمِ تَعَلُّمِ كِتَابَةِ الْيَهُودِيَّةِ تَعَلُّمَ لِسَانِهِمْ وَلِسَانُهُمُ السُّرْيَانِيَّةُ لَكِنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّ لِسَانَهُمُ الْعِبْرَانِيَّةُ فَيَحْتَمِلُ أَنَّ زَيْدًا تَعَلَّمَ اللِّسَانَيْنِ لِاحْتِيَاجِهِ إِلَى ذَلِكَ.

قلت «محمد» يعني أنه تعلَّم اللغتين كلتيهما في هذه المدَّة .

فمَن في هذه المدة يستطيع أن يتعلم لغتين حتىٰ يُصبح مترجماً ، يكتب الرسائل إليهم ، ويقرأ رسائلهم إلىٰ النبي ﷺ ؟

المثال الثاني : عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين رضي الله عنها :

في مدّة أقل من عشر سنوات قَضَتهَا مع النبي ﷺ صارت من أعلم الناس بالشرع ، مع تعلُّمها الشِّعر وأيام العَرب وأنسابها ، وعلمها بالطب !!

ففي دلالة سعة علمها بالشرع :

أخرج الترمذي[٢] بسندٍ يحسن عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ، قَالَ:

---

(١) «فتح الباري»(١٣/ ١٨٧) .

(٢) وغيره برقم (٣٨٨٣) .

مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا ». وسيرتها رضي الله عنها معروفة .

وأما بقية العلوم التي حصلت عليها :

فأخرج الذهبي في «السير» بسنده عَنْ هِشَامِ بنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَعْلَمَ بِالطِّبِّ مِنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ، مِمَّنْ تَعَلَّمْتِ الطِّبَّ؟!

قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَنْعَتُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، فَأَحْفَظُهُ. (١)

وأخرج أحمد ومن طريقه أبو نعيم (٢) هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ قَالَ: كَانَ عُرْوَةُ يَقُولُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّتَاهُ، لَا أَعْجَبُ مِنْ فَهْمِكِ، أَقُولُ: زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَا أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالشِّعْرِ، وَأَيَّامِ النَّاسِ، أَقُولُ ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ أَوْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، وَلَكِنْ أَعْجَبُ مِنْ عِلْمِكِ بِالطِّبِّ كَيْفَ هُوَ؟ وَمِنْ أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ:

---

(١) «السير»(٢/ ١٨٢-١٨٣)

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٣٨٠) وأبو نعيم في «الحلية»(٢/ ٥٠).

فَضَرَبَتْ عَلَىٰ مَنْكِبِهِ وَقَالَتْ: أَيْ عُرَيَّةُ، «إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَسْقَمُ عِنْدَ آخِرِ عُمْرِهِ، أَوْ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، فَكَانَتْ تَقْدَمُ عَلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَتَنْعَتُ لَهُ الْأَنْعَاتَ، وَكُنْتُ أُعَالِجُهَا لَهُ، فَمِنْ ثَمَّ »[1].

فكيف إذا تناولنا همم بقية الصحابة العالية ، في البحث عن الحق ، وفي الصبر والتقشُّف علىٰ شدَّة العيش ، ومكابدة الصِّعاب، وتحمُّل المَشَقَّة والعنَاء في كل ما هو من معالي الأمور لطال بنا المقام ، ونصرتهم لهذا الدين ؟ رزقنا الله المطلب الأعلىٰ وغفر لنا الزلل، وسَدَّد الخلل ، إنه سبحانه كريم ودود ، وهو علىٰ كل شيء قدير .

٨ ـ ترك التفاهات والأفكار الطائشة الخائبة:

والتي هي من تجارب البشر في أمورٍ ربما كان فيها سنة أو آثار عن الصالحين الذين ينبغي أن نسير علىٰ دربهم ، ونقضي بما قضوا به.

فشخص يسير خلف سراب يُضيِّع عمره سُدي ، وخُذ مثالاً واضحاً كالشمس لذلك : الحزبيين والخوارج ، فكثير من الناس كذلك ، يدورون في فلك فاشل لا يقتربون به إلىٰ ما يريدون تحقيقه،

---

(١) وهو خبر صحيح .

مع ضياع أعمارهم ، والعياذ بالله ، ولن يصلوا إلى بُغيتهم أبداً ، ولا والله لن تكون لهم دولة أبداً مهما صَنَعوا [١].

بل الأغرَب من ذلك أن يُضَيِّع بعضهم عُمُرَه ، لدنيا غيره ، أو في سبيل فكرة خائبة طائشة ساذجة اخترعَها غيره .

فالدين كَمُل ، والسَّبيل إلى إظهاره واضح قامَ به الأوائل فمُكِّن لهم ، وطرق تغيير المنكر مضبوطة بضوابط عليها الأدلة ، وأقوال السلف الذين بارك الله في جهودهم وأعمارهم ، فأين المرء منها ؟ .

وما حاجة المرء إلى الإحداث والاختراعات ، وهكذا تضيع الأعمار بلا فائدة ، والعياذ بالله .

---

(١) فقد أخرج ابن ماجه (١٧٤) بسندٍ حسن عَنِ ابْنِ عُمَرَا أَنَّ رَسُولَ اللهِّ قَقَالَ: «يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ» قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ ﷺ يَقُولُ: «كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ، أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً، حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمُ الدَّجَّالُ»

٩ـ المداومة بالجدّ وعدم الانقطاع عن العمل:

فالمنقطع عن العمل لا يصل ، وقد ورد عن رسول الله ﷺ وعن بعض الصحابة قولهم :« **إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى** »(١)

---

(١) أخرجه الحسين المروزي في «زوائد الزهد»(١١٧٩) وابن الأعرابي في «المعجم»(١٧٧٣)وغيرهما من طريق يحيي بن المتوكل عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ فَذَكَرَهُ ويحيي غير محمود الرواية

وخالفه مروان بن معاوية فرواه عن ابن سوقة عن ابن المنكدر مرسلاً. أخرجه ابن المبارك في «الزهد»(١١٧٨) وغيره

وهو الصحيح كما قال البيهقي في «الشعب»(٣٦٠٢) وقد ساق الدارقطني بقيه طرقه في «العلل»(١٤/ ٣٤٧) وعنه ابن الجوزي في «العلل»(٢/ ٣٣٧) ثم قال الدارقطني :« ليس فيها حديث ثابت».

وقد روي عن عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ عِبَادَةَ اللهَّ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا بَلَغَ بُعْدًا، وَلَا أَبْقَى ظَهْرًا،

والمعنىٰ علىٰ أي حال صحيح مُرَغَّب فيه ، والله أعلم .

فإن الذي يسير ثم يتوقَّف أو ينقطع ويكاسل ،لا يمكن أن يصل إلىٰ مطلوبه الأعلىٰ، ولذلك قال ﷺ :«...**وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**» (١).

وكَانَ عَمَلُهُ ﷺ دِيمَةً كما قالت عائشة رضي الله عنها . (٢)

.....

وَاعْمَلْ عَمَلَ امْرِئٍ يَظُنُّ أَنْ لَا يَمُوتَ إِلَّا هَرِمًا، وَاحْذَرْ حَذَرَ امْرِئٍ يَخْشَى أَنْ يَمُوتَ غَدًا »

أخرجه ابن المبارك في «الزهد »(١٣٣٤) من طريق مُحَمَّد بْن عَجْلَانَ، أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ به.

ومحمد بن عجلان لم يدرك عبد الله بن عمرو ، وقد خالف ابنَ المبارك الليثُ – من رواية أبي صالح عنه – فجعل عمر مولى عمر بن عبد العزيز بين ابن عجلان وعبد الله ابن عمرو ، وعمر الظاهر جهالة حاله . والحاصل أن الخبر لا يصح لا مرفوعاً ولا موقوفاً – فيما أعلم – والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٨).

(٢) كما في صحيح البخاري (١٩٨٧) ومسلم(٧٨٣).

وفي صحيح البخاري [١] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ أَحَبُّ العَمَلِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ».

وفي صحيح مسلم [٢] عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَثْبَتَهُ...

فقليل مُدَاوَم عليه خيرٌ من كثيرٍ منقطع.

فبعض الناس ربما يمشي في سُبُل الخير بل المعالي بُرهةً من الزمان ، ثمَّ لم يَلبَث أن يترك يطلب العلم، ويهتم بالدعوة إلى الله فترة ثم يترك .

- يطلب العلم ويتخَاذل عن الدعوة إلى الله ويتكاسل .

- يواظب على الأذكار ذوات الأجور الكثيرة ، ثم لم يلبَث أن يترك ما كان معتاداً عليه من أذكار ، وأعمال صالحة ، وكذا كثير من الناس يعملون .

---

(١) أخرجه البخاري(٦٤٦٢) ومسلم (٧٨٥)

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

يهتمُّ بقيام الليل ثم يترك قيام الليل ، وقد قال رسول الله ﷺ لعَبْدِ اللهِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ الله، لاَ تَكُنْ مِثْلَ فُلاَنٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**». (١)

فعظَّم الله أجر المداومين على أعمال الطاعة، فمع البذل القليل تداوم عليه لا تشعر بالكثرة، ولا آثارها من عُجب أو رياء ونحو ذلك مما يعتري القلوب ، وجَرِّب نفقَة ثابته قليلة ثُمَّ بعد أعوَام تَعُدّ ما دفعت تجده كثيراً بحيث لو قيل لك تصَّدَّق بربعه في مرة واحدة ما فعلت أبداً، أليس كذلك؟. (٢)

---

(١) أخرجه البخاري(١١٥٢) .

(٢) وقد جعل الله سبحانه فُسحة للمداومة، فجَعَل اللَّيل والنهار خِلفَة ،فمن فاته وردَه أدَّاه، فيبسط يده بالليل ليتوب مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ومن فاته ورده من الليل أدركه بالنهار، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ» . أخرجه مسلم (٧٤٧) .

فجعلنا الله من المداومين على الخير ومعالي الأمور .

١٠ـ المحافظةعلى رصيد الخيرات التي حصَّلها مما يُبَدِّدُها .

مثل عدم تقوىٰ الله في الخلوات ، وانتهاك محارم الله

وقد أخرج ابن ماجة[١] وغيره بسندٍ حسن عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: « **لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ**

.....

و عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» أخرجه مسلم(٢٧٥٩).

(١) برقم (٤٢٤٥) وقال البوصيري :« هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.».

انْتَهَكُوهَا»[١] .

قال ابن الجوزي [٢]: « رأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم، أهملوا نظر الحق -عز وجل- إليهم في الخلوات، فمحا محاسن ذكرهم في الجلوات، فكانوا موجودين كالمعدومين ، لا حلاوة لرؤيتهم، ولا قلب يحن إلى لقائهم.

فَاللهَ اللهَ في مراقبة الحق عز وجل؛ فإن ميزان عدله تبين فيه الذرة،

---

(١) لكن كيف يعافيه الله وهو يجهر بالمعصية وقد قال ﷺ «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ» فيما أخرجه البخاري(٦٠٦٩)من حديث أبي هريرة ؟

ولا يعارض حديث ثوبان هذ لأن حديث ثوبان في المنافقين، وحديث أبي هريرة في المسلمين، فلا تعارض بينهما، لا سيما إذا حملنا النفاق هنا على النفاق العملي الذي لا ينافي أخوّذَة الإيمان. فالحديث يُحَذِّر هؤلاء أن يكون حالهم حال المنافقين، أو أن يكونوا أعداء لإبليس في الظاهر، أصدقاء له في السرِّ، لأن من كان دأبه إظهار الحسن، وإسرار القبيح: يعظم ضرره، وإغواؤه للمسلمين؛ لانحلال ربقة التقوى، والخوف، من عنقه .

(٢) في «صيد الخاطر» ص١٤٨ .

وجزاؤه مراصد للمخطئ، ولو بعد حين، وربما ظن أنه العفو، وإنما هو إمهال، وللذنوب عواقب سيئة.

فَاللهَ اللهَ! الخلوات الخلوات! البواطن البواطن! النيات النيات، فإن عليكنَّ من الله عينًا ناظرةً! وإياكم والاغترار بحلمه وكرمه، فكم استدرج!

وكونوا على مراقبة الخطايا، مجتهدين في محوها! وما شيء ينفع كالتضرع مع الحمية عن الخطايا».

وقد قال تعالى: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ ق . هُوَ الذي يئوب إلى طاعة الله ويرجع، هو الَّذِي يَذْكُرُ ذُنُوبَهُ فِي الْخَلْوَةِ فَيَسْتَغْفِرُ اللهَّ مِنْهَا. **وَالْحَفِيظُ**: هُوَ الْحَافِظُ لِذُنُوبِهِ حَتَّى يَتُوبَ مِنْهَا، كما ورد عن المفسرين .

ولذا قال الحافظ ابن رجب رحمه الله[1] :

وأفضلُ الأعمال خشية الله فِي السر والعلانية، وخشية الله فِي

(١) في «فتح الباري» له (٦/ ٥٠).

السرِّ إنما تصدر عَن قوة إيمان ومجاهدةٍ للنفس والهوىٰ، فإن الهوىٰ يدعو فِي الخلوة إلىٰ المعاصي، ولهذا قيل: إن من أعز الأشياء الورع فِي الخلوة.

والمقصود هنا: المحافظة علىٰ الحسنات والرصيد الذي اكتسبته أن يضيع ، بسبب عمل تعمله إذا خلوت بمحارم الله ، فإن حَصَل فأكثر والهَج بالأوبة إلىٰ الله والإستغفار لتتخلص من شوائب تخسر بسببها ما قمت به من خير ، حتي يبقي رصيدك العظيم الذي اكتسبته كما هو والموفق من وفَّقه الله .

١١ ـ صحَّة المنهج له أثر البالغ في نيل المعالي .

انظر أصحاب المناهج المنحرفة من الخوارج يدأبون في العمل والكدّ الذي وصفه رسول الله ﷺ فقال للصحابة – الذين هم أحسن الناس عبادة واجتهاداً– : « **تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ**

الرَّمِيَّةِ....» [١]

وفي رواية مسلم [٢]«..لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...»

فمع هذا الوصف جاء الذمّ الشديد لهم، وأمر ﷺ بقتالهم ، بل تَلَهَّف على قتالهم كقتال عاد وثمود .

وعُظِّم أجر من يقتلهم.

ففي صحيح مسلم [٣]عن علي رضي الله عنه :«.. لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ، مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ .. »

فصِحَّة المنهج مع ضعف السير يبلُغ بالإنسان مأربه .

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٨) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدريا .

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٦) عن علي رضي الله عنه .

(٣) برقم (١٠٦٦).

أما الانحراف المنهجي البدعي، فلا يجعل السائر يزداد من الخير ومن الله إلا بعداً، فهم الذين قال الله في مثلهم: «﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر.

وقال: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ الكهف.

وذلك أن النبي ﷺ لما وصف الخط المستقيم، قال عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا سَبِيلُ الله**» ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ، وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**» ثُمَّ تَلَا {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}.[1]

فكلَّما نشطَ السائر وهو على السُّبل كلَّما ابتعد عن الخط المستقيم، فيبتعد بقدر شدَّة السير، وهو يظن أنه على الخط المستقيم لأنه كان قريباً منه في بادىء الأمر، فإن مبدأ انشقاق السبل كلها كانت قريبة

(١) حديث حسن أخرجه الدارمي (٢٠٨) والنسائي (١١١٠٩).

من الخط المستقيم ، ولذلك كثيراً لا يشعر المبتدع أنه منشَق عن الاستقامة، ولذا يكون في أحلك الظروف مجتهداً في البدع بخلاف العاصي فإنه يرتدع[١] ، والله المستعان.

---

(١) فَهَذَا رَجُلٌ كَثِيرُ الشُّرْبِ لِلْخَمْرِ صحابي قصَّته في صحيح البخاري برقم (٤٢٥) وَمَعَ هَذَا فَلَمَّا كَانَ صَحِيحَ الِاعْتِقَادِ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ شَهِدَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ وَنَهَىٰ عَنْ لَعْنِهِ. وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُ فَمِثْلُ مَا أَخْرَجَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري وَغَيْرِهِمَا وقد تقدَّم- دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقَسِّمُ فَجَاءَهُ رَجُلٌ نَاتِئَ الْجَبِينِ كَثَّ اللِّحْيَةِ مَحْلُوقَ الرَّأْسِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السُّجُودِ وَقَالَ مَا قَالَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«يَخْرُجُ مِنْ ضئضئ هَذَا قَوْمٌ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلَنهُمْ قَتْلَ عَادٍ » .

وَفِي رِوَايَةٍ :«لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ مَاذَا لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ لَنَكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ».

وَفِي رِوَايَةٍ :«شَرُّ قَتْلَىٰ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ خَيْرُ قَتْلَىٰ مَنْ قَتَلُوهُ»قُلْت: فَهَؤُلَاءِ مَعَ كَثْرَةِ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقَتْلِهِمْ وَقَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.وراجع «مجموع الفتاوي» (١١/ ٤٧٣).

والمقصود أن تنقية المنهج تبلغ بالإنسان المنزل ، جعلنا الله على الخط المستقيم.

١٢ـ تقديم الدنيا على الآخرة عند التعارض:

فيُغَلِّب جانب الآخرة ، ويزهد في الدنيا على قدر المستطاع وهذا ما كان عليه السلف رحمهم الله تعالى .

فالأهم الآخرة، أما الدنيا ففانية ، فمهما ملك إنسان منها فلن يملك من ملك مَن استجاب الوهاب دعاءه لما قال ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥ ﴾ سورة ص

فقد ملك ملكاً عظيماً من الإنس و الجن والطير، والريح تجري بأمره حيث شاء ، مع الحكمة والعلم ، وفوق هذا النبوة[1] فماذا بقي

---

(١) ومن ذلك ما قاله ٱبۡنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ سُلَيۡمَانُ بۡنُ دَاوُدَ يُوضَعُ لَهُ سِتُّ مِائَةِ كُرۡسِيٍّ، ثُمَّ يَجِيءُ أَشۡرَافُ ٱلۡإِنسِ فَيَجۡلِسُونَ مِمَّا يَلِيهِ، ثُمَّ تَجِيءُ أَشۡرَافُ ٱلۡجِنِّ فَيَجۡلِسُونَ مِمَّا يَلِي ٱلۡإِنۡسَ، قَالَ: ثُمَّ يَدۡعُو الطَّيۡرَ فَتُظِلُّهُمۡ، ثُمَّ يَدۡعُو الرِّيحَ فَتَحۡمِلُهُمۡ، قَالَ: فَيَسِيرُ فِي ٱلۡغَدَاةِ ٱلۡوَاحِدَةِ مَسِيرَةَ شَهۡرٍ، قَالَ: فَبَيۡنَا هُوَ فِي مَسِيرِهِ إِذِ ٱحۡتَاجَ إِلَى ٱلۡمَاءِ وَهُوَ فِي فَلَاةٍ مِنَ

منه؟

تركه ومات عليه الصلاة والسلام وكذا ذو القرنين .

ومن الكفار فرعون قد أعطي زينة وأموالاً في الحياة الدنيا فأغرقهم الله ودمَّر ما كان يصنع هو وقومه وما كانوا يعرشون وأورثها القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها .

وكذا قارون الذي كانت مفاتيح خزائنه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، ثم ماذا ؟

خسف الله به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كانوا منتصرين .

فهنيئاً لمن عمَّر أخراه ، ولو تخرَّب شيء من دنياه .

.....

الْأَرْضِ، قَالَ: فَدَعَا الْهُدْهُدَ، فَجَاءَهُ فَنَقَرَ الْأَرْضَ، فَيُصِيبُ مَوْضِعَ الْمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ تَجِيءُ الشَّيَاطِينُ فَيَسْلَخُونَهُ كَمَا يُسْلَخُ الْإِهَابُ، قَالَ: ثُمَّ يَسْتَخْرِجُونَ الْمَاءَ.... الأثر .

أخرجه الطبري (١٨/ ٣٠) بسندٍ صحيح في تفسير قوله تعالى :«وتفقد الطير» .

ولقد كثرت الأحاديث في الزهد وتواترت ، وأُلِّفت فيها كتب والناظر إلى معيشة أصحاب النبي ﷺ يستأنس بضيق معيشتهم رضي الله عنهم في سيره في هذه الحياة الدنيا. والله الموفق.

١٣ ـ ترك الجدل العقيم الذي لا يُفيد .

فكم من جدل في مجالس خيبة، لم يحصل منه نفع ، بل الضغائن وحزازات في النفوس، تزول الجبال الراسيات وهي في النفوس لا تزول ، وكان مبدأ ذلك مجالس الجدل، بل كم من جدَل نشرَ بدعة وشهر صاحبها ، بل سبَّب إعراضاً عن حكمة ضَعُف قائلها، فللجدل ضوابط: فيكون بالتي هي أحسن، ويُظلِّله التحلِّي بالإنصاف، وحسن الخلق ، والصدق. وقبول الحق ممن جاء به ...إلخ

وقد ثبت عن الحسن البصري قال: « مَا رَأَيْتُ فَقِيهًا قَطُّ يُدَارِي وَلَا يُمَارِي، إِنَّمَا يُفْشِي حِكْمَتَهُ ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ الله، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ الله »[1].

(١)أخرجه ابن بطه في «الحيل»ص ٢٥ بسندٍ ثابت .

وأخرج البيهقي وغيره بسندٍ حسن عن سُفْيَان بْنِ عُيَيْنَةَ، قال: «لَمْ أَرَ فَقِيهًا قَطُّ يُدَارِي، وَلَا يُمَارِي ، يَنْشُرُ حِكْمَةَ الله ، فَإِنْ قُبِلَتْ حَمِدَ اللهَ ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمِدَ اللهَ ». (١)

وأخرج ابن أبي خيثمة والطبراني عَنْ مُجَاهِد رحمه الله أَنَّ قَيْس ابْنَ السَّائِب قَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ شَرِيكي فِي الْجَاهِلِيَّة فَكَانَ خَيْرَ شَرِيكٍ، كَانَ لا يُدَارِي وَلا يُماري». (٢)

فمدحه ﷺ لكونه كان لا يُماري .

وأخرج الأجري بسندٍ صحيح عَنْ هِشَام يَعْنِي بْنَ حَسَّانَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، تَعَالَ حَتَّى أُخَاصِمَكَ فِي

.....

وأخرجه نعيم في «زوائد الزهد»(٣٠) وابن بطة في «الإبانة» (٦١١) من طريق آخر بسندٍ منقطع .

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»(١٦٥٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٨٠).

(٢) وَفِي هَذَا الْحَدِيْث اختلافٌ في أسانيده قَدْ بَيَّنْتُه فِي شرحي ل«شرح السنة » للبربهاري (٢/ ٧١٥ وما بعدها).

الدِّينِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ أَبْصَرْتُ دِينِي، فَإِنْ كُنْتَ أَضْلَلْتَ دِينَكَ فَالْتَمِسْهُ [١].

وأخرج ابن بطة [٢] بسندٍ صحيح عن أَحْمَد بْن سِنَانٍ ، قَالَ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ الْأَصَمُّ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ ، فَقَالَ: جِئْتُ أُنَاظِرُكَ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ: «إِنْ شَكَكْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِكَ ، فَقِفْ حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَإِلَّا فَاذْهَبْ إِلَى عَمَلِكَ ، فَمَضَى ، وَلَمْ يَثْبُتْ».

وأحسن من ذلك كله ما أخرجه أحمد [٣] عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْمًا يَتَدَارَءُونَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ، فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ**».

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة»(١١٨، ٢٠٤٨)

(٢) في «الإبانة الكبرى»(٦٧٢) .

(٣) برقم (٦٧٤١) وابن ماجة (٨٥) بسندٍ حسن .

ولا يخفي قول مالك في تعامُله مع من جاءه يسأله عن الاستواء، وفعل عمر رضي الله عنه مع صبيغ بن عسل مشهور .

وأختم بذكر هذه القصة معه:

وهي التي أخرجها الآجري [١] بسندٍ صحيح عن مَعْن بْن عِيسَى قَالَ: انْصَرَفَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُو مُتَّكِئٌ عَلَى يَدِي فَلَحِقَهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أَبُو الْجُوَيْرِيَةِ كَانَ يُتَّهَمُ بِالْإِرْجَاءِ ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الله اسْمَعْ مِنِّي شَيْئًا أُكَلِّمُكَ بِهِ وَأُحَاجُّكَ وَأُخْبِرُكَ بِرَأْيِي قَالَ: فَإِنْ غَلَبْتَنِي؟ قَالَ: إِنْ غَلَبْتُكَ اتَّبَعْتَنِي قَالَ: فَإِنْ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ، فَكَلَّمَنَا فَغَلَبَنَا؟ قَالَ: نَتَّبِعُهُ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ الله : يَا عَبْدَ الله، بَعَثَ الله عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّدًا ﷺ بِدِينٍ وَاحِدٍ، وَأَرَاكَ تَنْتَقِلُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ .

وقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلَ [٢].

ذلك أن منهج مالك وطبعه رحمه الله ما

---

(١) برقم (١١٧) وابن بطة في «الإبانة» (٥٨٣).

(٢) وهو صحيح قد خرَّجته في كتابي «التوضيحات الجلية» وغيره.

أخرجه محمد بن نصر المروزي وابن بطة والبيهقي والخطيب البغدادي [١] بسندٍ صحيح عن إِسْحَاق بْنِ الطَّبَّاعِ قال: سَمِعْتُ مَالِكَ ابْنَ أَنَسٍ يَقُولُ: «أَفَكُلُّ مَا جَاءَ رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ رَجُلٍ أَرَدْنَا أَنْ نَرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ».

١٤ - تحرِّي وضع الصدقة في أعظم الأماكن أجراً :

ففي النفقة قرائن قد تحتفّ بها تُعَظِّم الأجر فيها ، بل أعمال الخير كلها قد يحتفّ بها قرائن تجعل الأجر فيها عظيماً جداً، وإن كان العمل يسيراً ، فصدقة الفقير أفضل بأضعاف من صدقة الغني، إذ أن أفضل الصدقة جهد المقل ، ولذا كان مما يكمل به الإيمان : «**الإنفاق من الإقتار**»[٢] فقد قال ﷺ: «**سَبَقَ دِرْهَمٌ دِرْهَمَيْنِ**» ، قَالُوا:

---

(١) في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٣١) و«الإبانة الكبري»(٥٨٢) والبيهقي في «المدخل»(٢٣٨) و«الشعب»(٨١٣١) و«شرف أصحاب الحديث» ص ٥.

(٢) كما قال عمار بن ياسر رضي الله عنه «ثَلاَثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلاَمِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ» وهو أثر صحيح خرَّجته في كتابي« لمع الأدلة في بيان عقيدة أهل السنة »

وَكَيْفَ ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ، فَتَصَدَّقَ أَجوَدَهُمَا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَتَصَدَّقَ بِهَا». (١)

وفي رواية (٢)«سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَ: «كَانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ فَتَصَدَّقَ بِأَجْوَدِهِمَا، وَانْطَلَقَ رَجُلٌ إِلَى عُرْضِ مَالِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا».

❁ فالنفقة على طالب العلم المحتاج مثلاً نفقة على مَن اجتمع فيه خصال : نفقة على فقير مُحصر، (٣) ومسكين، وصاحب سهم في سبيل

---

(١) حديث حسن أخرجه النسائي (٢٥٢٧) وأحمد (٨٩٢٩) :« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ ..فذكره

(٢) أخرجه النسائي (٢٣١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد ظاهره الحسن

(٣) وقد يكون ممن قال الله فيهم ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ البقرة.

الله ، والنفقة عليه تعود مصلحتها ونفعها على الأمة بنشر علم وخير من أثر ما تعلَّم ، فالنفقة هنا جمعت خيرات كثيرة ليست كالنفقة على غيره .

❁ والنفقة على طباعة الكتب النافعة التي تنشر حقاً وسنَّة ، خير من غيرها من النفقة على طعام ونحوه بلا مقارنة .

فالنفقة قد يحتف بها قرائن تجعلها أعظم أجراً...

وهو معنى الحديث المتقدِّم .

ومن هنا كان التفاضل بين من أنفق من قبل الفتح وقاتل عمن أنفق من بعد وقاتل ، وإن كان كلاً وعد الله الحسنى .

وفُضِّلَت نَفقةُ أبي بكر على نفقة غيره مع أن منهم من أنفق أكثر منه بكثير ، لكونه بذل في وقت لم يكن يبذل فيه أحد مع أن عثمان مثلًا جهَّز جيش العسرة (نفقة كبيرة)، وحفر بئر روما ..

وعمر أنفق نصف ماله ، وكم من الصحابة أنفق[١]

رجل عَمِلَ خيراً من نفقة أو برٍّ أو نشر علم ...إلخ .

فتتابع الناس خَلفَة وائتسوا به ، فله أجر كل من تبعه ، فيُضاعف الأجر للعمل القليل بهذه الحيثية ، ولذلك :

أخرج مسلم [٢] عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ عَلَيْهِمِ الصُّوفُ فَرَأَىٰ سُوءَ حَالِهِمْ قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ حَتَّىٰ رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّىٰ عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ

(١) ومع ذلك قال ﷺ : «إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خَلِيلًا لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا المَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بَكْرٍ» أخرجه البخاري (٤٦٧)

(٢) برقم (١٠١٧).

الله ﷺ: « «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ.....الحديث» .

❁ بناء مسجد يصلَّى فيه فقط يختلف جداً في الأجر عما إذا كان مسجد تقام فيه السُّنة ، ويُعلَّم فيه العلم .

والمقصود : أن الأعمال قد يحتف بها قرائن تجعلها عظيمة الأجر ، وإن كانت أعمالاً يسيرة في الظاهر ، ولعل هذا هو السرِّر في تعظيم أجر مَن نُشِرَ له تسعة وتسعين سجلاً ونَجَّاه الله ببطاقة فيها لا إله إلا الله ، وُضعت في كفة عند الميزان أمام السجلات فطاشت السِّجِلَّات فلم يثقل مع اسم الله شيء [١].

---

(١)أعني حَدِيْثَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوْسِ الخَلاَئِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ سِجِلاً، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئاً؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ يَا رَبِ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُج بِطَاقَة فِيْهَا: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنك، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ

وكذلك: غفران الله تعالىٰ لمن نَحَّىٰ غُصنَ شَوَكٍ مِنَ طَرِيق المسلمين ، فشكر الله له ، وغفر له بهذا العمل اليسير [١].

وكذلك: الذي أخذته شدَّة الشفقة لَمَّا رأىٰ كَلباً اشتدَّ عَطَشُه فأخذَ خُفَّه، فملأه ماءً فسقاه فشكر الله له صنيعه ، وغفر له بذلك ، وأدخله الجنة [٢].

.....

مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوْضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ »

أخرجه أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجة (٤٣٠٠) وغيرهما بإسنادٍ قوي ثابت ، وقد جوَّدت إسناده في تحقيقي لـ «لتذكرة القرطبي» كتاب «الفوائد النيرة» (٧١٦).

(١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَذَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ »أخرجه البخاري (٢٤٧٢) ومسلم (١٩١٤).

(٢)أعني قول أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «أَنَّ رَجُلًا رَأَى كَلْبًا يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَأَخَذَ الرَّجُلُ خُفَّهُ، فَجَعَلَ يَغْرِفُ لَهُ بِهِ حَتَّى أَرْوَاهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ » .

أخرجه البخاري (١٧٣)

وكذلك امرأة بغي سقت كلباً فشكر الله لها فغفر لها ورفعها درجات بصنيعها ذلك .[١]

وكذلك :

الذي قال لأهله إذا أنا مِتُّ فأحْرِقُوني – قال ذلك من شدَّة الخوف، ففعلوا ، فجمعه الله ، وسأله ، وغفر له وأدخله الجنة [٢].

وصاحب ياسين الذي جاء يسعىٰ قال اتبعوا المرسلين قال كلمات ذكر الله قوله **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ

---

(١)فأخرج البخاري (٣٤٦٧) ومسلم (٢٢٤٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»

(٢) قال أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: « أَنَّ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، رَاشَهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَقَالَ لِوَلَدِهِ: لَتَفْعَلُنَّ مَا آمُرُكُمْ بِهِ أَوْ لَأُوَلِّيَنَّ مِيرَاثِي غَيْرَكُمْ، إِذَا أَنَا مُتُّ، فَأَحْرِقُونِي – وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ– ثُمَّ اسْحَقُونِي، وَاذْرُونِي فِي الرِّيحِ، فَإِنِّي لَمْ أَبْتَهِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا، وَإِنَّ اللهَ يَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ يُعَذِّبَنِي، قَالَ: فَأَخَذَ مِنْهُمْ مِيثَاقًا، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، وَرَبِّي فَقَالَ اللهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ فَقَالَ: مَخَافَتُكَ، قَالَ فَمَا تَلَافَاهُ غَيْرُهَا »

ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ قَالَ
يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ يس

وكذلك مؤمن آل فرعون سعى خطوات وتكَّلم بكلمات يسيرة بارك الله فيها وأشاد الله بصنيعه العظيم، ومقولته الطيبة ، فقيَّدها له تتلى في المحاريب إلى يوم القيامة ، تتلى في كتاب الله ويُصلَّى بها في المحاريب .

قال تعالى :« وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ.....»

قال تعالى :« فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) »...

ألم تر إلى مقولة يوسف عليه السلام : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف .

ألم تر كيف بورك فيها ، فوصف بأنه من المحسنين ـ فكانت سبب نجاته ، وجعلته وزيراً على البلاد يُنَظِّم لهم الأقوات .

وابنة الرجل الصالح بورك في حيائها وفي كلمتها ﴿ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص.

فصارت بسببها زوجة لنبيٍ من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأشاد الله بحيائها وكلمتها في كتابه العزيز .

وهكذا يعظم العمل أو الكلام فيبارك فيه بركة يُتعَجَّب منها لشيء احتف به فعظُم الأجر فيه جداً .وربما لم يكن يتخَيَّل العامل أن يبارك فيه هذه البركة ، بل ربما لم يخطر له عظم الأجر على بال .

ومن هنا نهى ﷺ عن احتقار الأعمال ولو كانت يسيرة :

فأخرج مسلم [١] عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**».

وقال ﷺ: « **يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**»[٢].**فلا يُحتقر من المعروف شيئاً.**

وفي صحيح البخاري [٣] عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ

---

(١) برقم (٢٦٢٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ومسلم (١٠٣٠).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٨).

النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**».

وهو تنويهاً لعظم ما صنعت مع بساطته.

ولعل المقصود قد وضَحَ ، والله الموفَّق .

وفيما أوردت كفاية تزجُر عن الجدل ، وتُنَفِّر عن مجالسه، أحيا الله مجالسنا بالخير والربح ، وتكفير الزلات إنه كريم ودود .

فصل في

أناس حصلت البركة في أعمارهم

معاذ بن جبل رضي الله عنه الصحابي الفاضل المعروف بل في العلم مبلغًا عظيمًا، وهو ممن حمل القرآن عن النبي ﷺ ، ويُحشر يوم القيامة أمام العلماء بخطوة...فضائله جمَّة ، ومناقبه كثيرة جدًا لا يحصيها هذا الموطن، وهو مشهور رضي الله عنه ، بالعلم والقرآن، والسلوك .

والعجيب: أنه مات صغيرًا وهو ابْنِ ثَلاَثٍ أَوْ أَرْبَعٍ وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً، وقيل: ابْنُ ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً.

تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ ﷺ.

وحمل تلك المناقب والعلم والمعارف ﷺ.

عبد الله بن عباس ﷺ.

حَبْرُ الأُمَّةِ، وَفَقِيْهُ العَصْرِ، وَإِمَامُ التَّفْسِيْرِ، أَبُو العَبَّاسِ، أدرك النبي ﷺ وهو صغير فبورك له في عمره فصار إلى ما صار إليه.

كم كان يقمع البدع وينشر العلم والمعارف، في شتى أنواع العلوم، كان قَمَّاعًا للفتن، ناشرًا للسنن.

ما مات حتى ملأ الأرض علمًا ﷺ.

أبو هريرة الدوسي ﷺ، مشهور معروف كثير المناقب، حفظ كما كثيرًا من أحاديث رسول الله ﷺ حتى لقِّب بحافظ الصحابة، أحرص الصحابة ﷺ على حفظ الحديث ، فلم يكن مَن هو أكثر حديثًا منه إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ﷺ فكان يكتب، وأبو هريرة لم يكن يكتب. كل هذا مع أنه لم تزد مصاحبته للنبي ﷺ زيادة عن ثلاث سنوات فقط، لأنه أسلم عام خيبر.

عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بورك له في عمره ، أسلم صغيرًا، كم كان مستدركًا على الصحابة في مجلس للنبي ﷺ ، ثم بعد ذلك صار عينًا معينًا في العلن ، ناشرًا للخير والسنة، قامعًا للبدعة، مقاومًا للفتن، معلمًا للناس، مقدامًا في كل خير، والله المستعان.

أسامة بن زيد رضي الله عنه

إلى غير ذلك من المباركين في أعمارهم وهو باب ظاهر في كثير من الأشخاص، استقصاء من بورك لهم في أعمارهم يطول .

وختامًا ختم الله لنا بخير .

من أخسر الناس من وقع أسيراً لتوجيهات فاشلة فاسدة ممن ليس أهلاً للتوجيه، ممن لم يتأهَّل للتوجيه بعد، من أنصاف المتعلميتن ، طالب العلم الصغير أو الجاهل لإخوانه من طُلَّاب العلم، التاجر الصغير الغير مؤهل لمن يريد العمل في التجارة .

وبالجملة توجيه من ليس مؤهَّلاً لغيره من بني جنسه .

فكم يضُرُّون بتوجيهاتهم، وقد يَحسبُون أنهم يُحسنون صُنعَاً، فكم لتوجيهات هؤلاء من الأثر السيء في تضييع وقت من يوَجِّهونهم،

يُضَيعون أعمار غيرهم ، ويُفَوِّتون عليهم فرصاً وأبواب خير كانت مُفَتَّحة أُغلقت، ويُعَطِّلون منافع وأبواب الخير لا يدوم فتح جميعها ، ومَن فتح له باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متىٰ يُغلق عنه

وقد قال رسول الله ﷺ[١]: « **البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**». [٢]

وقال :« إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ». [٣]

هل قال ﷺ ذلك إلا لمراعات ذلك ، والحذر من توجيه غير المؤهَّلين من الصغار وممن ليس من المجربين للأمور ؟

فكم وجَّهوا مَن ندم بعد علىٰ تفريطه في نصائحهم،

---

(١)أخرجه ابن حبان (٥٥٩) بإسنادٍ صحيح عن ابن عباس رضي الله عنه .

(٢)أي: المجربين للأمور، المحافظين علىٰ تكثير الأجور، أي :فجالسوهم لتقتدوا برأيهم.

(٣) أخرجه الحسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك (٦١). واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١٠٢) بسندٍ حسن .

وضاعت عليه فُرَص المعالي ، فرجع يطلبها وهيهات، لا تثبت مراحل الحياة علىٰ حال،وبماذا ينفعه الندم ؟ هذا وجَّهوه للخروج علىٰ الحكام لتطبيق الشريعة الاسلامية ، فقتل ،أو ضاع وقت عمره ، وزمن تعطَّل فيه عن تحصيل ما يبارك له في عمره به .

فهذا وجَّهوه في طلب العلم بتوجيهات فَوَّتوا عليه فرص التحصيل بسبب عدم أهليتهم .

وهذا وجَّهوه لسفر بسببه لم يحصل له به ما تمنَّاه ، أو صار مُنهمكاً في طلب الدنيا ، مدبراً في أمر الآخرة ، أو ضاع عليه ما كان يرجوه من تحصيل علم ، وما هي إلا سنوات واستقرت أمورة حتىٰ يرىٰ المسكين نفسه ضائعاً تائهاً معترفاً بذلك ، وربما كان تائهاً ضائعاً في ثوب إمام جرح وتعديل، لم تسمُ همَّته لتحرير مسألة من مسائل العلم ، أو تحرير الحكم علىٰ حديث مختلف في صحته من ضعفه ، ومع ذلك تجده يكتب ، فيصدق فيه قول القائل :

حمارٌ في الكتابةِ يَدَّعِيهَا .... كَدَعوَىٰ آلِ حَربٍ في زيادِ

لَقِيطٌ في الْكِتَابَةِ يَدَّعِيهَا .... وَلاَ يجْرِي الحِمَارُ مَعَ الجِيَادِ

فَدَعْ عَنكَ الكِتَابَةَ لَستَ مِنهَا .... وَلَو لَطَّخْتَ وَجهَكَ بالمِدَادِ.

وهل هلك من الضعفاء الذين لا عقل لهم إلا بسبب قلة المعرفة بالناصح من النَّمام – الذي يُخرجُ النَّميمَةَ في قَالِبِ نُصحٍ وحُسْنِ توجيه؟

وهما صنفان متقاربان في الظاهر متفاوتان في الباطن:أحدهما داء والآخر دواء ، وثاقب القريحة لا يخفى عليه أمرهما.

ألا فليحذَر من توجيه أنصاف المتعلمين ، ولا تسمع إلا لنصح مَن يعجبك أن تكون في مِسلاخه ،وبكل أسف قد أظلَّنا زمان كثُر فيه التلبيس، نجَّانا الله، والموفَّق مَن وفَّقه الله.

وأخسرُ الناسِ صَفقَه من جادَ بنفسه :

من قتل نفسة فمات منتحراً، قتل نفسه بحديدة، أو تحسى سُمَّاً، أو تردى من على جبل ، فمات .

فهذا مات على سوء الخاتمة ، مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب .

ففي الصحيحين [١] عن جُنْدَب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ، قَالَ الله تَعَالَى: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[٢].

وفي الصحيحين[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[٤].

---

(١) البخاري (٣٤٦٣) ومسلم (١١٣).

(٢) وهذا إما أن يكون في شرع من قبلنا، وإما أن يكون الله قد حرَّم عليه الجنة أن يدخل مع الداخلين الأوائل، على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

(٣) البخارى (٥٧٧٨) ومسلم (١٠٩).

(٤) وقوله: «خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» هذا محمول عَلَى مَنِ اسْتَحَلَّهُ فَإِنَّهُ يَصِيرُ بِاسْتِحْلَالِهِ كَافِرًا وَالْكَافِرُ مُخَلَّدٌ بِلَا رَيْبٍ. وَقِيلَ وَرَدَ مَوْرِدَ الزَّجْرِ وَالتَّغْلِيظِ وَحَقِيقَتُهُ

ثم إن من ضاقت عليه الدنيا ، فعليه أن ينظر بعقله فيما يَستقبل بعد الانتحار ، هل سيقبل على ما فيه الخلاص والأحسن ، أم سيُقبل على الأنكال والجحيم ، والعذاب الأليم .فعياذاً بالله من سوء الفهم ، وسوء المنقلب .

والعاقل يذهب من الضِّيق إلى السعة، لا من الضيق لما هو أضيق بلا مقارنة !

.....

غَيْرُ مُرَادَةٍ وَقِيلَ الْمُعْنَى أَنَّ هَذَا، بِالْخُلُودِ طُولُ الْمُدَّةِ لَا حَقِيقَةُ الدَّوَامِ كَأَنَّهُ يَقُولُ يُخَلَّدُ مُدَّةً مُعَيَّنَةً . ..المهم أن ذلك ليس على ظاهره ، فمن قتل نفسه لا يُخَلَّد في النار لمجرد قتله لنفسه ، وإن كان مرتكباً لكبيرة من كبائر الذنوب وذلك لما أخرجه مسلم(١١٦) لما هَاجَرَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو إلى رسول الله ﷺ وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ ابْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ** ».

وإذا كان النبي ﷺ نهى عن تمني المرء الموت لضرٍّ نزل به

فقال ﷺ :« **لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**» (١).

فلعل إنساناً يطول عمره ويَحسن عمله ، وليس من طلب الموت

قول عمر رضي الله عنه :« اللَّهُمَّ ضَعُفَتْ قُوَّتِي وَكَبِرَتْ سِنِّي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مُفَرِّطٍ. ثُمَّ قَدِمَ رضي الله عنه »(٢).

---

(١)كما في الصحيح برقم (٦٣٥١) ومسلم (٢٦٨٠) عن أنس رضي الله عنه .

ولذلك لما تضَرَّر خباب بن الأرت من شدَّة المرض .

قال قَيْس بن أبي حازم: أَتَيْتُ خَبَّابًا، وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعًا، قَالَ: «لَوْلاَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ قَنَهَانَا أَنْ نَدْعُوَا بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ » كما في صحيح البخاري (٦٣٤٩). وكذا قَالَ أَنَسٌ ا: لَوْلاَ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: « لاَ تَتَمَنَّوُا المَوْتَ» لَتَمَنَّيْتُ أخرجه البخاري (٧٢٣٣) ومسلم (٢٦٨٠).

(٢)وهو خبرٌ حسنٌ لطرقه، تخريجه في «الفوائد النيرة» برقم (١٢)

وقد بين ﷺ العلَّة من عدم تمني الموت فقال : «**لاَ يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**»(١)

فكيف يقبل على قتل نفسه بيده ، وهو لا يدري ما هو صائر إليه.

فنعوذ بالله من سوء الفهم، وحرمان التوفيق إنه على كل شيء قدير، وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

أبو يحيي محمد بن عبده

بلطيم – كفرالشيخ - مصر

---

(١) أخرجه البخاري(٧٢٣٥).

مقدمة..... ٣

نزع البركة من الزمن والأعمار في آخر الزمان ٨

أعمال يحصل بها البركة في العمر..... ١٢

١ــ صلة الأرحام..... ١٢

٢ــ الإحسان إلى الجيران..... ١٢

٣ـ اغتنام الأوقات المباركة للعمل ١٣

أـ وقت البكور :..... ١٣

أحوال النبي ﷺ وأصحابه في ذلك..... ١٥

توريث النبي ﷺ أحواله لأصحابه..... ١٥

قول خَوَّاتِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه: نَوْمٌ أَوَّلِ النَّهَارِ خُرْقٌ، وَأَوْسَطُهُ خُلُقٌ، وَآخِرُهُ حُمْقٌ، وتفسير ذلك ١٨

زجر الصحابة رضي الله عنهم من يليهم إذا ناموا في الصباح ١٨

توريث الصحابة يطريقتهم لبعضِ التابعين ١٩

ب ـ اغتنام الثلث الأخير من الليل ٢٠

جـ ـ اغتنام أوقات إجابة الدعاء ٢١

الساعة التي هي يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء ٢١

تحديد هذه الساعة في أقوال الصحابة رضي الله عنهم ٢٢

وقت النداء بالأذان ٢٤

عند الانتهاء من الأذان ٢٥

بين الدعاء والاقامة : ٢٥

عند السجود ٢٥

عند ختم القرآن ٢٦

الدعاء ليلة القدر:..... ٢٦

الدعاء يوم عرفة يوم يباهي الله بالحجيج الملائكة ٢٧

كذلك عند زيارة المريض وعند حضورالميت :..... ٢٧

الدعاء عند سماع صياح الديكة :..... ٢٧

دعاء الصائم والمظلوم والإمام العادل ٢٨

٤ـ اغتنام وقت الشباب بالذات ٣٠

نصح السلف بوقت الشباب :..... ٣١

٥ـ تجنُّب أسباب ضياع العمر ٣٣

تربية النبي ﷺ أصحابه على قِصَرِ الأمل لتوقِّي ذلك ٣٥

ب ــ التسويف :..... ٣٦

جـ ـ الغفلة عن محاسبة النفس واغتنام مواسم الأرباح ٣٦

الإجماع على وجوبِ محاسَبَةِ النفسِ ٣٧

د ـ توقي الكسل عن ركب المعالي..... ٣٨

هـــ - عدم الإكثار من التوسُّع من المباحات والعجز وضعف الاستعانة بالله تعالي ٣٩

٦ ـ الاعتناء بالأعمال اليسرة ذوات الأجور الكثيرة: ٤٠

خاتمة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا الله إلا أنت ..... ٤٢.

٧ـ الاهتمام بمعالي الأمور وتكريس الجهود لها ، وجعلها نُصب العين ٤٣

مثالان فقط لرجل وامرأة على ذلك ٤٥

المثال الثاني : عائشة رضي الله عنها ٤٧
بقية العلوم التي حصلت عليها ٤٧
٨ ـ ترك التفاهات والأفكار الطائشة الخائبة: ٤٩
٩ـ المداومة بالجدّ وعدم الانقطاع عن العمل: ٥٠
١٠ ـ صحَّة المنهج له أثر البالغ في نيل المعالي ٥٨
١١ـ تقديم الدنيا على الآخرة عند التعارض: ٦٢
١٢ ـ ترك الجدل العقيم الذي لا يُفيد..... ٦٤
قول الحسن البصري مَا رَأَيْتُ فَقِيهًا قَطُّ يُدَارِي وَلَا يُمَارِي ، ٦٤
ختام بذكر قصة ٦٧
منهج مالك وطبعه رحمه الله في باب الجدل ٦٧
١٣- تحرِّي وضع الصدقة في أعظم الأماكن أجراً ٦٨

قوله ﷺ سَبَقَ دِرْهَمٌ دِرْهَمَيْنِ..... ٦٩

قوله ﷺ سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ» ٦٩

وختاماً! ٧٨

من أخسر الناس من وقع أسيراً لتوجيهات فاشلة فاسدة ٨٠

خطورة توجيه مَن ليس أهلاً..... ٨٠

مَن فتح له باب خير فليسرع إليه، فإنه لا يدري متىٰ يُغلق عنه... ٨٠

قوله ﷺ البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ. ٨١

مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ ٨١

تضييع من وقع منحرفاً إثر توجيهاتهم ٨١

من توجيهاتهم الفاشلة بسبب عدم أهليتهم ٨٢

أثر ضعف المعرفة بالناصح من النَّمام الذي يُخرجُ النَّميمَةَ في قَالِبِ نُصحٍ وحُسِّنِ توجيه؟..... ٨٣

وهما صنفان متقاربان في الظاهر متفاوتان في الباطن :أحدهما داء والآخر دواء..... ٨٣

الحذر من توجيه أنصاف المتعلمين..... ٨٣

وأخسرُ الناسِ صَفقَه من جادَ بنفسه فمات منتحراً..... ٨٣

الفهوس .....ز.....٨٥